النعمة والحق
3-4
Mar
Apr
2011

افتتاحية العدد بقلم: لاري أوندر جاك

أفكار مختلفة عن سفر نشيد الإنشاد

يلقي هذا السفر صدى كبير واهتمام كثير لدى الكثيرين. فمنهم مَن يقول:" إنني لا أدرك تماماً لماذا يتضمن الكتاب – فيما يتضمن – هذا السفر، وآخرون: "إنه ملئ بالشهوة وحينما أقراه أحس بأنني أفعل ذلك لأسباب خاطئة". بينما يقول البعض الآخر لا ذكر فيه لاسم الله إنه يتعلق بالجنس وكتبه سليمان ولكم كانت عنده حظيات كثيرات.

ولقد قررت أن أبحث عما يقول الآخرون فوجدت أن أصدقائي – السابق ذكرهم – هم عينات مطابقة لعدد كبير من المعلقين على الإنترنت ثم اتجهت بالبحث عن أفكار دارسي الكتاب المقدس وأقدم للقارئ العزيز بعض أقوالهم.

- جون جيل (١٦٩٧– ١٧٧١) وهو دارس للكتاب المقدس يتمسك بشدة بالفضيلة وله مؤلف عن "شرح نشيد الإنشاد" وذكر قوله "إن موضوع ذلك السفر هو محبة المسيح العميقة لشعبه بجانب المشاركة الودودة والعلاقة الشخصية معه، إن السفر بحق هو نشيد الإنشاد".
- هدسون تيلور (١٨٣٢– ١٩٠٥) وهو مؤسس "إرسالية أرض الهند" حيث ذكر في كتابه عن "الوحدة والمشاركة" هناك أجزاء قليلة من كلمة الله تساعد الدارسين لزيادة التكريس في طريق معرفة الله نظير نشيد سليمان الذي طالما أهمله الكثيرون.
- تشارلس هـ. سبرجين (١٨٣٤– ١٨٩٢) وهو مبشر انجليزي شهير وقد ألقى ٣١ عظة عن نشيد الإنشاد، وضمن ما قاله "أن المؤمن الحقيقي لا يجد هذا الكتاب مجرد قطعة ذهب – فكل كلمة هي ذهب– بل قطعة من الماس الحقيقي تتلألأ ببريق باهر ليس هناك ما يفوقها حيث قيمتها ثمينة جداً"

موضوع العدد(١) بقلم: إيه. سي.هادلي

بداية سفر نشيد الأنشاد

«نَشِيدُ الأَنْشَادِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ:

لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ» (نش١: ١-٤)

إن نشيد سليمان عجيب في تكوينه إذ يشتمل على لغة مجازية غنية في معانيها الروحية وهو يدعى نشيد الأنشاد لأنه يفوق غيره من الأناشيد لتميزه وجماله معاً. إنه نشيد محبة لا نجد مثيلاً لأنه يتكلم عن محبة متأججة عن حبيب مجيد عرفه العالم؛ إنه الرب يسوع نفسه؛ أبن الله وهو يتودد لعروس من بين بني البشر.

أن هذا في تطبيقه المبدئي هو نبوءة عن المسيح، مسيا إسرائيل يستميل قلب البقية اليهودية بعد أن تُرفع الكنيسة إلى المجد. إنها دراسة ممتعة أن ندرس هذا السفر من وجهة النظر النبوية فيما يتعلق بتلك البقية وفي الحقيقة فهناك الأجزاء التي لا ندركها ونفهمها إلا من منظور هذه النبوة ونحن ندرك أن محبة الرب لإسرائيل – عروسه الأرضية – ما هي إلا ظل وانعكاس لمحبته العميقة لعروسه السماوية وهنا نجد فوائد روحية غنية لنفوسنا من خلال تطبيق مباشر للبقية في آخر الأيام؛ إلا أننا نجدها ذات تطبيق روحي عميق في نفوسنا كأعضاء عروسه السماوية. وهيا بنا في ضوء هذا كله – عزيزي القارئ – ندخل ونلقي نظرة على أعداد بداية هذا السفر.

– «نَشِيدُ الأَنْشَادِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ»

وهنا نجد أن سليمان هو كاتب هذا السفر. ويُعني اسمه "سلام" وهو الذي نقرأ عنه في (٢أخ٩: ٢٢) «فَتَعَظَّمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ» إنه مثال باهت لرئيس السلام الذي «كله جميل» و «أبرع جمالاً من بني البشر» الذي «مسحه الله بزيت الابتهاج أكثر من رفقائه» والذي «جعله وارثاً لكل شيء» (نش٥: ١٦، مز٤٥: ٢، ٧، عب١: ٢) وياله من أمر مجيد أن يكون حبيب نفوسنا.

- « لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ»

يبدأ السفر ويُفتتح بهذه الكلمات الحماسية عن الحبيب. إنه ملء عينيها وقلبها وقد بهرها جماله ونعمته الساحرة وقلبها. ويستطرد – في رغبة عميقة – في تعبيراته الحميمة عن محبته. والقبلات تعبير عن محبة قوية شخصية.

إن الشخص الذي يستطيع أن يردد مع صاحب المزمور (٣٤: ٨) «ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب» يعلم أنه ليس هناك أكثر بهجة لقلب المؤمن كتلك الأوقات الطيبة التي يتمتع بها عميقاً في نفسه بمحبة المسيح الفائقة. إنها بدون شك تفوق كل ما يعطيه العالم!

- «لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ»:

يشير الخمر إلى الفرح والمرح. ولكن هناك شيء آخر أكثر حلاوة ويُشبع بما لا يقاس عن أي شيء يقدمه العالم، التي نتبادل فيها المحبة مع سيدنا المعبود ومخلصنا؛ الذي حبه لنا «أطيب من الخمر» وأقوى من الموت فبدافع المحبة بذل نفسه لأجلنا والآن حي إلى الأبد حاملاً «محبة المسيح الفائقة المعرفة» (أف٣: ١٩) تلك المحبة التي قادته إلى صليب الجلجثة هي لازالت تملأ قلبه غير متغيرة وقوية من جهتنا.

ليست المسيحية الحقيقية هي معرفة ذهنية لمبادئ معينة بل هي معرفة شخصية بابن الله الحي والمحب. إلا أننا نجد كثيراً ما نجد من المؤمنين الذين يكتفون بمعرفة غفران خطاياهم بموته على الصليب دون أن تكون لهم شركة مع ابن الله الذي حبه أطيب من الخمر. وكم تكون خسارتهم الروحية لأنه ليس هناك ما يعوّض عن خسارة الشركة الروحية الحميمة معه – له المجد – فلا سعادة للمؤمن أو كفاية إذا لم يمارس العلاقة اللصيقة بالرب ولاحظ – عزيزي القارئ – قوة التعبير الشخصي «ليقبلني».

«لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ»

تكلمنا الأدهان عن عطر النعمة. وكم نجد فيه – له المجد – من جمال النعمة المختلفة والمتعدد وفي كمال أيضاً؛ وكل منها لها سحرها وجاذبيتها الخاصة. كما وأنها ليست فقط عطراً بل للشفاء أيضاً (إش١: ٦) فليس هناك حزن أو جرح إلا وتعمل أدهانه

الطيبة للتهدئة والشفاء. فتعال إليه – عزيزي القارئ – بكل ما يلاقيك من آلام أو اضطرابات أو حزن ففيه –شخصياً– تجد البلسان الأكيد.

اسم يسوع قد حلا لمسمع المؤمن يشفي جراح المبتلى والخوف يستأمن
وهو الذي يسكنّ خوفي وأحزاني وذكره يُستحسن في سمع آذاني

– «لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى»

كتب الرسول يوحنا في (١يو٤: ١٩) «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» إن محبته هي التي جذبت قلوبنا إليه وكلما ازدادت مشغوليتنا به وبمحبته لنا كلما ازدادت محبتنا له. ليس هناك مجال لأن نكتئب أو نحزن لضعف وفتور عواطفنا نحو الرب أو نحاول أن نضرم لهيب محبتنا له بل بالحري نحول أنظارنا من ذواتنا إليه شخصياً ويكون ملء قلوبنا. إن المشغولية بذواتنا لن تعمّق مشاعرنا نحوه بل بالحري حينما نتأمل عميقاً في محبته لنا.

إنه يحبنا بالرغم من أنه ليس فينا ما يجذبه إلينا؛ إذ أنه في طبيعته المحبة. فقلبه المحب لا يشبع ما لم يكن هناك هدف أو غرض يهب نفسه له؟ إلا أننا نحبه أيضاً لأنه "كله مشتهيات" (نش٥: ١٦) إلا أننا كثيراً ما نميل بأن يكون هناك أشياء وأمور مختلفة تحتل مكانه إننا نحس بحاجتنا للصلاة الغيورة التي نجدها في العدد التالي.

– «اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ»

إن العالم يلهث وراء أمور كثيرة في هذه الأيام بل إن كثيراً من المؤمنين يجرون وراء أمر أو آخر بدلاً من المسيح ولا عجب تنحسر أفراحهم وينطفئ نورهم وتعوزهم الراحة في نفوسهم. إن الأمور التي يجرى العالم إليها لا نستطيع إطلاقاً أن تُشبع النفس الخالدة التي خُلقت لأمور سامية فالله دعانا «إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو١: ٩) ولقد أعطانا قدرة روحية – حينما خلقنا على صورته كشبهه – كي نستمتع به ونجد سرورنا فيما هو فوق لمسيح جالس «عن يمين الله» (عب١٠: ١٢).

وإنني أثق أننا جميعاً نتفق بأن أكثر الأوقات التي يملأنا فيها الفرح هي تلك التي نقترب فيها من المسيح. ونحتاج أن نرجع إليه بكل قلوبنا فنستعيد الأفراح. ولنحترس – عزيزي القارئ – لما يجرى وراءه! ولتكن هذه الكلمات هي صلاتنا الحارة «اجذبني وراءك»!!

- «أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ»

وهنا نصل إلى القمة المجيدة حينما يأخذ الرب عروسه المحبوبة إلى نفسه «أنا أمضي لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا» (يو١٤: ٢، ٣) وبينما نحن في انتظار ذلك اليوم المجيد هو معنا في الروح. وهكذا نستطيع أن نردد:

- « نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ»

هنا نجد ينبوع سعادة لا ينضب معينه أبداً ومصدر للفرح لن يفتر. إنه أيضاً معين للسرور نرتوي منه بالرغم مما يحيطنا من ظروف. إن الخاطئ التعس لا يجد سروراً إلا حينما تتغير ظروفه إلى اتجاه أفضل. إلا أننا كمؤمنين لنا ينبوع فرح في المسيح لا يتأثر إطلاقاً بأية ظروف. لذلك نستطيع أن نفرح دائماً. ويكرر بولس ذلك الفرح حينما سجل في (في٤:٤، ١تس٥: ١٦) «أفرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً أفرحوا».

إن كان فرحنا ليس كاملاً فذلك لأننا وضعنا نفوسنا تحت ثقل ظروفنا بدلاً من الرب نفسه الذي فوقها جميعاً وتكفل بالعناية بنا. وعلينا أن نتعلم هذا السر العظيم أن الفرح الحقيقي والسعادة هي فقط في المسيح.

- «بِالْحَقِّ(المستقيمون) يُحِبُّونَكَ»

يجب أن تكون قلوبنا مستقيمة إن شئنا أن نفرح فيه. وإذا لم نكن كذلك – عزيزي القارئ – فإننا لا نحس بأية راحة أمامه. وبدلاً من الفرح نجد أننا ننفر من محضره إلى أن نُصحح ما نحن فيه من خطأ. إن السبب الأساسي للاستياء وعدم الرضا لدى كثير من المؤمنين هو لأنهم يسمحون بوضع أمورهم – أو أي شيء آخر – بينهم وبين الرب، وليس لديهم استعداد بوضعها في المكان الصحيح.

إنه من المُسّلم به أنه إذا أردنا أن نفرح بالرب يجب أن تكون قلوبنا كاملة أمامه ولا نسمح بوجود أي ظرف بيننا وبينه في هذه الحالة يجب أن نسرع الخطو إليه في الحال ونصحح الوضع وإنه – له المجد – يرحب بنا بكل الحب. فهو يعلم تماماً بأننا لا يمكن أن نفرح إلا فيه. وهو لا يشاء أن يكون هناك أي حائل يعوقك عن ذلك.

موضوع العدد (٢) بقلم: آلان.هـ.جروسبي

العواطف الإنسانية في نشيد الأنشاد

لماذا وُضع سفر نشيد الأنشاد وهو يصوّر عواطف المحبة الإنسانية بوضوح ضمن أسفار الوحي المقدس؟ هناك بعض الاحتمالات والافتراضات نظير: إرادة الله أن نعرف اهتمامه بنا بكل دقائق حياتنا، العلاقة الحبيبة بين الجنسين كتصوير لمحبة المسيح للكنيسة (أف٥: ٢٢-٣٢) إنه يريدنا أن نمارسها ونعيشها هنا وهناك.

لقد ذكر أحد المفسرين عن سبب انتشار التفسير المجازي انتشاراً واسعاً بقوله: بسبب العواطف المتأججة في السفر؛ فإن كتاب الأجيال تضمنه لندرك بأنه مجازي لمحبة المسيح للكنيسة" فإذا كان الأمر كذلك فمن المفيد أن ننمي محبتنا للرب يسوع.

نقاء النشاط العاطفي:

نتناول هذه الجزئية فيما نجده في نشيد الأنشاد في أسلوبه الشعري فيما يتعلق بشهوة المحبة الإنسانية التي أوجدها وخلقها الله ولنبدأ بسفر التكوين حيث نقرأ في (تكوين١: ٢٧، ٢٨) «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ.... وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» أي أنه أمر بممارسة الحالة الزوجية.

وكتب أحدهم؛ "إن سفر نشيد الأنشاد متميز بين أسفار الوحي بأنه الوحيد الذي يتناول العواطف الإنسانية بطريقة فريدة لا تُضاهى. فهو يبدأ باستجابة عاطفية من العروس وتجاوبها مع ملاطفة وحب قرينها فتقول «حبك أطيب من الخمر» (نش١: ٢) إن الخمر تعطي دفئاً للمشاعر ثم تقول «اجذبني...فنجري». «ادخلني الملك إلى حجاله» (١: ٤) ثم نقرأ قول العريس: «ما أجمل خديك...وعنقك» (١: ١٠) وقبل ذلك تقول: «حبيبي ....بين ثديي يبيت» (١: ١٣).

أما هو – العريس – فإذ يقارنها بغيرها؛ يمدحها بقوله: «كالسوسنة بين الشوك» (٢:٢) وكان صدى ذلك في نفسها – وهي في حلم – فلم تجده مما سبب لها ذعراً (٣: ١-٥) فأشارت بأنه يغلوا كثيراً في عينيها.

وها هو يتودد إليها بنشيد محبة (٤: ١-٥) وكلماته الشعرية لازالت مستخدمة حالياً في الزيجات السورية. وإذ يصف مواهبها التي تسره – من جهة عيناها وثدياها – ويشملها جميعاً بقوله: «كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة!» (٤: ٧) وليس لدى أية زوجة غضاضة في أن توصف بهذا الوصف الدقيق! ويستمر فيما يسره ليعبّر لها عن حبه بقوله «كم محبتك أطيب من الخمر...وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب» (٤: ١٠) وعن قبلاتها يقول: «شفتاك يا عروس تقطران شهداً...تحت لسانك عسل ولبن» (٤: ١١).

وعن ثديي الزوجة؛ تقول كلمة الله للزوج «ليرويك ثدياها في كل وقت وبمحبتها أسكر دائماً؛ فلمَ تُفتن يا ابني بأجنبية؟» (أم٥: ١٩، ٢٠) فالرب يقصد أن تتجه عواطف محبة الزوج إلى زوجته فقط.

وفي العهد الجديد نقرأ قول الرب يسوع: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (مت١٩: ٤، ٥، تك١: ٢٧، ٢: ٢٤) وهكذا توضح الكلمة أن العواطف المتبادلة بين الرجل والمرأة تكوّن أسرة مستقلة أساسها المحبة والعناية لكل منهما بالآخر ويأتي الأطفال نتيجة لهذه الوحدة.

العفة:

أي بتعبير كتابي: الطهارة؛ حيث يقول الرسول بولس في (١تس٤: ٣، ٤) «لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ (جسده) بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ» ويقول أيضاً في (١كو٧: ٢٨) «لكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ تُخْطِئْ. وَإِنْ تَزَوَّجَتِ الْعَذْرَاءُ لَمْ تُخْطِئْ» وبالرغم من ذلك الوضوح الكتابي؛ فهناك مَن ينادي بالامتناع عن الزواج ونفس الرسول يحذرنا من تلك التعليم التي هي في حقيقتها «تعاليم شياطين»(١تي٤: ١-٣).

ومع ذلك فهو ينصح بوضوح «لغير المتزوجين وللأرامل...إذا لبثوا» (١كو٧: ٨). وجدير بالملاحظة أنه لم يأمر بالامتناع عن الزواج إذ أنه ينصح أولئك الذين لا يستطيعون أن يضبطوا أنفسهم «فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق»(١كو٧: ٩).

إنه سفر نحتاج إليه:

وفي اتساق مع ما سبق جدير بنا أن نقتبس ما كتبه أحدهم عن السفر موضوع تأملنا إذا كان السفر في طبيعته وأسلوبه الشعري يثير إلى أبعد الحدود محبة البشر، فغرضه أن يشير إلى تبرير وقيمة المحبة الحقيقية في كافة المجالات وبصفة خاصة بين الزوجين.

والله في حكمته ضمّن وحيه المقدس بسفر كامل عن هذا الأمر الهام للأجيال المتعاقبة التي عانت وتعاني من المفاجع وسوء استعمال ذلك الحق كما وأن وجود هذا السفر يشير إلى اكتمال الوحي حيث أن خالقنا يهتم بكل أمور ونواحي حياتنا العامة والخاصة.

إن الكتاب المقدس يحذر من ممارسات لا أخلاقية في العلاقات في أجزاء كثيرة فمثلاً في سفرنا نجد توازناً لتلك العلاقة بين الزوجين أما في سفر الأمثال فنجده كثيراً ما حذر الشاب ضد ما يقع فيه «هلم نرتو وداً(حباً)إلى الصباح» (أم٧: ١٨) حيث تطمئنه «لأن الرجل ليس في البيت...ذهب في طريق بعيدة» (ع١٩). وسليمان يحذره من قبول عَرضها أنه سيصبح «كَثَوْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ، أَوْ كَالْغَبِيِّ(الأيل) إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ(المصيدة) .... كَطَيْرٍ يُسْرِعُ إِلَى الْفَخِّ....لأَنَّهَا طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى، وَكُلُّ قَتْلاَهَا أَقْوِيَاءُ» (أم٧: ٨-٢٦) لا يمكن أن الله يقصد حرماننا من السعادة كما يدّعي البعض. أنه يريد ويحاول أن يجنبنا الآلام التي لا نحتاج إليها أو الدمار الذي يحدث نتيجة للخطية الجنسية.

وبالإجماع فإن نشيد الأنشاد يشير ويعلن لنا أن إلهنا يريد لنا الاستمتاع بالحياة النقية والتمتع بالعواطف الجنسية التي خلقها فينا. وهذه الرسالة نجدها أيضاً في سفر الجامعة (٩:٩) حيث نقرأ: «التذ عيشاً مع المرأة التي أحببتها»!

موضوع العدد(٣) بقلم ديفيد.ر. رايد

نشيد سلمان هو نشيد المحبة

خذوا الثعالب الصغار

«خُذُوا لَنَا الثَّعَالِبَ، الثَّعَالِبَ الصِّغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُومِ، لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلَتْ» (نش٢: ١٥)

في فصل الربيع من السنة يزهر كل شيء وحتى المحبة. وتنتهي البرودة والرياح والأغصان الفارغة مع كل ما يحمله الشتاء. ويعم الدفء مع الأزهار بألوانها الزاهية وتنتشر الحياة في اشراقها مع صفوف المحبة بكل الأرجاء وتنتعش. وكم هو محبب أن يتهادى المرء عبر المروج الخضراء مع من يحب بصفة خاصة.

تمهّل لحظة – عزيزي القارئ – فكم يصف الكتاب المقدس مثل تلك الأحاديث التي يتجاذبها الطرفان؟ فهو يفيض بالمحبة بين الجنسين مع ما يتضمنه من عواطف حبية وفي الحقيقة فإن نشيد سليمان هذا يصور ذلك كما يعلن ذلك عنوان مقالنا.

إن فكرة «خذوا الثعالب» تعبير تصويري لشيء هام عن علاقة المحبة. ولا يفوتنا أن الجملة لا تعني مطاردة الجنس الآخر. وقبل أن نتكلم عن "خذوا الثعالب" حري بنا أن نلقي نظرة مختصرة – بصفة عامة – لنشيد سليمان.

نظرة مختصرة:

بعض المؤمنين لم يقرأوا سفر نشيد الأنشاد ناهيك عمن لم يدرسه. وأولئك الذين درسوه والمعلقين عليه لا يتفقون معاً في تفسير هذا النشيد. بينما نجد أن بعض المفسرين وبصفة خاصة أولئك الذين ينهجون منهاج التقليد والاتجاه الشعبي بأن السفر هو عرض لمحبة لسليمان الحقيقية للفتاة القروية شولاميث.

فقد التقى بها في رحلته في إلى الأنحاء الشمالية لمملكته وربما في إحدى زياراته للحقول الملكية حيث الكروم المتسعة. وكانت شولاميث تعمل بالقرب منها في حقل عائلتها (ص١: ٦). ولم يخطر ببالها أن تكون "سندريلا" بثيابها الرثة لذلك الملك الغني– كما تحكيها القصة المعروفة.

وبدلاً من أن يستغل سلطته كملك لضمها إلى نسائه؛ قرر اتخاذ موقف الراعي ليستميل قلبها وينشئ معها علاقة محبة متبادلة ومضى في خطته ثم كشف عن شخصيته وبعد ذلك تزوجها.

وأتم سليمان الملك زواجه بفخامة وبذخ ونجد في نهاية الأصحاح الثالث وصفاً فاخراً لإجراءات الزواج والرابع نجد العُرس وإتمام الزواج في بداية الخامس. وفي القصر الملكي وأمام عيون الشعب استمرت وتعمقت ونمت علاقة المحبة– بين سليمان وعروسه – باقي أصحاحات هذا السفر. وهذا لا يعني بأن القصة تنتهي بكلمات قليلة نظير "وعاشا في سلام وسعادة فيما بعد". كلا فهي ليست قصة خيالية بل حياة حقيقية وإن كانت قد سُطرت شعرياً.

وفي الأصحاح الخامس نجد ظهور سوء تفاهم بين الملك سليمان وشولاميث وفي نهاية الأصحاح السابع وبداية الثامن تبدو الأخيرة بارعة من جهة متطلبات الحياة العامة في القصر الملكي فقد استردت لنفسها سليمان إلى القرية المتواضعة التي نشأت فيها.

وإذ تتحرر من التقيد باجتماعيات الحياة الملكية وإبداء المشاعر الإنسانية في بساطتها؛ استطاعت أن تُقَبِّله علانية (٨: ١).

وبالرغم مما صادفهما من مثبطات إلا أن المحبة بين الزوج وزوجته استمرت في النمو. فانتصرت المحبة على أي سوء فهم أو تقدير من أيهما تجاه الآخر. فلم يدعا معطلات أو إحباطات أن تزعج أو تزعزع علاقتهما. وليتنا– عزيزي القارئ – ننهج هذا المنهج في محبتنا للرب ذاك الشخص المجيد الذي أعطانا إياه الله دون سواه. وهذا المنهج – أيضاً – هو ما يعنيه القول «خذوا لنا الثعالب الصغار» ويا له من أمر هام وحيوي.

الثعالب الصغار:

نطالع هذا التعبير قرب نهاية ذكر مشاهد الربيع بزهوره اليانعة تعم الأرض (٢: ١٠-١٣) وقررا معاً – سليمان وشولاميث – ألا تسمح علاقتهما بما يفسد تلك المشاهد الجميلة ويضربا عرض الحائط بالمشاكل المحتملة في حيز ازدهار علاقتهما بسبب الثعالب الصغيرة. حيث أنها تفسد

الكروم بقضم سيقانها – من أسفل – وبالمثل فإن المشاكل البسيطة التي يبدو تعذر اجتنابها في علاقاتهما العاطفية يعتريها الانهيار. فهذه عليهما وقفها قبل أن تستشري وتسبب الدمار.

وتظهر تلك الثعالب الصغار من حولنا حينما تبدو علاقتنا متنامية – حينما نرى أن «كرومنا قد أقلعت» (٢: ١٥) ولنأخذ – عزيزي القارئ – لذلك مثلاً شركتنا مع الرب. فحينما تبدو الأمور على ما يرام يعترينا خداع الإهمال؛ إهمال علاقتنا الحبية في أرواحنا عن طريق قراءة كلمة الله والصلاة.

وماذا عن علاقتنا الزوجية بالطرف الآخر الذي عينه الرب لنا؟ فكم تكون الثعالب الصغار عبارة عن كلمات أو تعبيرات جارحة تسبب شرخاً لا داعي له في علاقاتنا التي يجب أن تكون في أبرع مظهر؛ إذ تظهر الثعالب الصغار في قليل من الحسد وسوء الفهم مما يدمر ما بيننا من محبة. ويا للتعاسة إذ أنه بدون معنى كلمة «خذوا» بدقة كتصرف من الجانبين فهذه الثعالب الصغيرة تنمو مع الأيام فتصبح كبيرة وشرسة أكثر.

وإذا كان هذا السفر يصور المحبة العجيبة والعميقة بين زوجين من جانب فمن الجانب الآخر يوضح لنا علاقة المحبة المبهجة بين المسيح وعروسه؛ الكنيسة كما نراها في (أفسس٥: ٣١، ٣٢).

إن زواج المؤمنين شهادة عظيمة للرب إذا عزما معاً من البداية أنهما يعكسا السر المجيد لمحبة الرب لنا كعروسه. وهذا يقتضى بذل مجهود شاق للقضاء على "الثعالب الصغار" فلا يسمحان بإفساد رسالة الله الذي يريد أن يعلنها خلال الزواج.

وإن كانت الثعالب الصغيرة خبيثة وماكرة وليس من السهولة الإمساك بها، إلا أن ذلك ليس مستحيلاً. والمشاكل التي تظهر خلال نمو علاقة المحبة ليس سهلاً التعامل معها ولكن بمجهود حكيم ومعاونة إلهية تتحقق الغلبة.

نحن نحبه!!

عندما نتحدث عن توصيف المسيحية للعلاقة بين الإنسان المؤمن، والله القدوس نجدها علاقة محبة رائعة وسامية، يعبر عنها رسول المحبة يوحنا الحبيب بالقول المقدس "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (رسالة يوحنا الأولى٤: ١٩).

للناس مفاهيم شتى متباينة عن المحبة، وللسماء مفهوم واحد واضح لها: هو المحبة الروحية العملية التي مغبوط عندها العطاء أكثر من الأخذ.

وقد تركزت المسيحية على ركائز ثلاث: الإيمان، والرجاء، والمحبة. ويقول الكتاب المقدس: «ولكن أعظمهن المحبة»! فلماذا؟

الواقع أن العلاقة الأولية الحقيقية بين الإنسان والله هي علاقة المحبة الإلهية التي تتجه بالنعمة الغنية إلى قلب وحياة الإنسان الهالك فتقنعه بالتوبة والإيمان، وتبدل حاله من البؤس والشقاء إلى الأمل والرجاء. إذاً فالمحبة هي الأساس أو قل: أساس الأسس كلها.

ثم عندما يصل المفديون إلى السماء سيتحقق الرجاء، وينتهي دور الإيمان...ولكن ستبقى المحبة! نعم المحبة التي هي علم السماء الخفاق إلى الأبد، المحبة التي لا تنتهي أبداً...لا تسقط أبداً كما عبر الرسول بولس بالوحي عنها في ختام أصحاح المحبة الشهير (كورنثوس الأولى ١٣) عندما تحدث عن صفاتها وخصائصها الإلهية الراقية التي أمكن لكل مؤمن أن يتمتع بها، ويتذوق حلاوتها في كل لحظة، بل وأن يشبع بها حتى يفيض بها على كل من حوله بدون استثناء، فيفيض بمحبة المسيح "الفائقة المعرفة" التي جدير بها أن تحصرنا باستمرار.

نعم: نحن نحبه، بل نحن على العموم نحن، نحب بالحق والصدق لسبب واحد هو أنه – تبارك اسمه – أحبنا أولاً!! أحبنا ونحن بعد في خطايانا، ومحبته جعلته يقدم ذاته لنا فدية كاملة شافية على صليب الجلجثة حيث أروع وأوضح إعلان عن محبة الله لنا، «فالله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية٥: ٨).

القارئ العزيز: هل تمتعت يوماً بهذه المحبة الإلهية التي لا يعرفها هذا العالم البارد الجاف؟ ليتك تسمح لأشعة الحب السماوي الآن أن تشرق على قلبك وحياتك فتملأها حياة ودفئاً يكفيك ويفيض على كل من حولك. وتستمتع بأروع لحظات الحب – التي لن تنتهي أبدًا – مع الحبيب: ربنا يسوع المسيح، فتهتف معنا قائلاً: «نحن نحبه...نعم نحبه، لأنه أحبنا أولاً».

خواطر شعرية

بقلم: زكريا عوض الله

مَحَبَةُ ٱلمَسِيْحْ

هَبْنِي أَمْتَصُ سُلاَفَ الحبِّ مِنْ قَلبِكَ ربي
هَبْنِي أَلتَهِمُ الجَمَالَ فِي وَجهِكَ يَسبي
هَبْنِي أَشبعُ بِالمَحَبةِ، بِالجَمَالِ المُستَحَبِّ،
بالفداءِ الحلوِّ، بالمجدِ الجميلِ، بكلِّ حُبِّ
كُلُّ وَمْضٍ مِنْ ثَوَانِ العُمْرِ أَوْ نَبْضٍ بقلبي
حبُّكَ مولايَ قوتَ الروحِ، بل أَكْلي وشُربِي
هَبْنِي ارتسم ٱلفِداءَ دماً يَسيلُ عَلَى الصَليبِ
مِنْ فُؤَادٍ فَائِضٍ بِالحُبِّ يَغْسِلُ لِي ذُنُوبِي
مِنْ فُؤْادٍ يَنْحَنِي تَحَتَ خَطَاياَيَ حَبِيْبي
وٱلمَسامِيرُ الغَلِيظَةُ صَنّعَتْ أَيَّ ثُقُوْبِ
فِي كِلا كَفّيْكَ مَمْدُوْدَيْنِ لِلخَيْرِ الصَّبِيْبِ
فِي كِلاَ قَدَمَيْكَ سَائِرَتَيْن فَي حُبِّ عَجِيْبِ

يا حَبِيبِي مَاذَا أَحْكِي أَوْ أَقُولُ يَا حَبِيبِي

ذلك الرأس الكريم المنحني يحمل بؤسي
دَامِعَ العَيْنَيْنِ مَسّحُوقَ ٱلحَشَا يَشّرَبُ كَأْسِي
دَامِيَ ٱلجَبْهَةِ مِنْ شَوْكٍ يُمَثِّلُ بَعْدَ غَرْسِي
وَٱلّدمُ ٱلمَسّفُوكُ يَدْفَعُ لِلعَدَالَةِ دَيْنَ نَفّسِي

«إِغْفِرْ لَهُمْ أَبَتَاهُ» هَذَا قَوْلَكَ الْمَشّهُورُ بَاهِرْ
تَغْفِرُ ٱلآثَامَ لِلنّاسِ ٱلأُلَى كَانُوا غَوَادِرْ
تَسْتُرُ ٱلأَدْرَانَ مَهَمَا بَلَغَتْ .. حُبُّكَ سَاتِرْ
تَحْمِلُ ٱلأَوْزَارَ مَهَمَا عَظُمَتْ .. حُبُّكَ قَادِرْ
يَقْهَرُ ٱلظَلْمَاءَ حُبُّكَ سَيْدِي .. حُبُّكَ قَاهِرْ
لاَ مَثِيلَ لَكَ فَإِنَّكَ فَوْقَ رُؤْيَا أَيَّ شَاعِرْ

قُمْتَ فِي فَجْرِ ٱلقِيَامِةِ ظَافِراً، يَاللَقِيَامَهْ
قَدْ غَلَبْتَ ٱلمَوْتَ جَبَّارَاً وَتِلْكَ هِيَ العلامة
كُلُّ أَعْدَائِكَ بَادُوا كَٱلدُّخَانَ وَكَٱلهِشَامَهْ
بَلْ جُنُودِ ٱلقَبْرِ بَاتُوا مِثْلَ كَوْمٍ مِنْ قمامة
يَا قَوِّيّاً لَمْ يَقِفْ شَرٌ وَلاَ مَوتٌ أَمَامَهْ
لَكَ كُلُّ ٱلمَجْدِ وَٱلحَمْدِ وَأَمْجَادُ ٱلكَرَامَهْ

دراسات مسلسلة

حياة بطرس

الفصل الثامن

غسل الأرجل يوحنا ١٣

إن هذا الفصل يشمل مكاناً متميزاً في الإنجيل وربما يقول قائل أن تاريخ الرب على الأرض انتهى ويتكلم الرب في هذا الفصل والفصول الأربعة التالية، عن الصليب ونتائجه الحتمية الذي به مجد الله تماماً هنا حيث كان الرب مزمعاً أن يترك الأرض، يقدم تلاميذه بالارتباط مع نفسه إلى المكانة الجديدة التي مزمع أن يتسلمها كابن الإنسان، وهم يفكرون فيه باعتباره المسيا وأمامه ملكوته على الأرض حيث هو الملك وهم مباركون معه، لقد انتهى كل هذا التفكير بنهاية الأصحاح الثاني عشر من إنجيل يوحنا. والآن يكلم الرب التلاميذ بحب عن ما هو بالنسبة لهم ومن هم بالنسبة له، لقد كان رفيقهم وهو على الأرض لكنه لا يستمر معهم على الأرض فيما بعد، ولقد اظهر لهم كيف يستطيع أن يأخذهم إلى حيث هو ذاهب.

يأخذ الرب هنا مكاناً كالخادم والخادم الكامل مع أنه رب الكل فهو لا يتوقف عن خدمة شعبه إذ كان «قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى» (ع١)

لا توجد نهاية لمجد الرب المبارك، ربما تتغير الظروف ولكن محبته لا تتغير، نرى هنا صورة للرب كالعبد العبراني (خروج٢١) «وَلكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلاَدِي، لاَ أَخْرُجُ حُرًّا، يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى اللهِ، وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ، وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ أُذْنَهُ بِالْمِثْقَبِ، فَيَخْدِمُهُ إِلَى الأَبَدِ» (خروج٢١: ٥، ٦). سوف لا ينفصل الرب عن أولئك الذين يحبهم وهذا هو معنى يوحنا ١٣.

كان الرب مزمعاً أن يأخذ الذين أحبهم ليكونوا معه في المكان المزمع أن يذهب هو إليه، وهنا يجب أن نلاحظ بالارتباط مع الفصح وغسل الأرجل من الذي أعد ذلك، يخبرنا متى في (ص٢٦: ١٧-١٩) أن التلاميذ سألوا الرب قائلين «أين تريد أن نعد لك الفصح؟» ولقد أجاب عن هذا السؤال دون ذكر للأسماء ولكن مرقس (ص١٤: ١٢-١٦) يقول «أرسل أثنين من تلاميذه» وأما

لوقا يذكر هذين الاسمين «فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً أذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل» (لو٢٢: ٨). يوحنا الذي شارك بطرس في إعداد هذه الخدمة يخص نفسه كعادته وهو لا يذكر في إنجيله تفصيلات إعداد العشاء مع أنه شارك في هذا وهو يسجل أيضاً الحقيقة المؤثرة وهو الكاتب الوحيد الذي يتكلم عن الرب المبارك وهو يغسل أرجل التلاميذ وهي خدمة الإنعاش التي أداها لهم والتي استمتع بها يوحنا ولكن أشك قليلاً إن بطرس استمتع بهذه الخدمة حيث اعترض عليها كما سنرى مع أن هذه الخدمة لإنعاشه وغسل أقدامه المتعبة.

إن مشهد العشاء ممتلئ بنعمة ومجد الرب يسوع. أنها الليلة الأخيرة قبل موته «قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا» هنا يأخذ الرب مكان الخادم ويبدأ الرب بعد ذلك صب الماء ويغسل أرجل التلاميذ وينشفها بالمنشفة.

ولقد كانت عادة في هذه البلاد أنه إذا استضاف إنسان شخصاً في منزله فإنه يقدم لك ماءاً لغسل الأرجل أولاً (تك١٨: ٣، ٤) وقد فعل إبراهيم ذلك و لوقا ٧ يؤكده حيث يلوم الرب سمعان لأنه لم يفعل ذلك ويأخذ الرب هنا مكان المضيف ويقدم الماء ويأخذ مكان العبد لغسل الأرجل، رب المجد ينحني بنفسه ويغسل أرجل الأنثى عشر، ويالها من نعمة فائقة، إنه وهو الله يضع نفسه إنساناً ومرة أخرى وهو إنسان يتضع ويغسل أرجل التلاميذ، لقد قام بإنعاشهم وإراحتهم وقد رغب أن خاصته يشاركون في هذا العيد وهو قد دعاهم إليه، لقد رغب أن يريح شعبه.

لقد جاء بطرس وتكلم بلغة الناس حيث قال: «يا رب أنت تغسل رجلي!!» لقد كان هذا الأمر غير مفهوم عند بطرس، لقد كان الاتضاع من جانب الرب، إنها النعمة فقط التي تفعل ذلك.

ولكن كلام بطرس يكشف عما في قلبه وأجاب يسوع وقال له: «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» (ع٧).

لم يكن الروح القدس قد جاء بعد لذلك لم يكن هناك فهم روحي لإدراك هذه المعاني، فكل حياة الرب وكلماته لم تكن مفهومة حتى جاء الروح القدس وكشف فكر الله وطرقه، وأيضاً امتلاك الروح الذي ينير القديسين الآن وقديسي العصور السابقة.

إن إجابة الرب يسوع تكشف المغزى لما كان يفعله. وهذا المعنى لم يستطع بطرس أن يفهمه لذلك قال: «لن تغسل رجلي أبداً» ولكن الرب أجابه قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب» إن الإنسان في حالة الخطية والخراب ليس له نصيب مع المسيح ولكي يكون مناسباً للمكان المزمع أن يذهب المسيح إليه فلابد أن يتطهر بدم المسيح أولاً ثم بعد ذلك يعرف القوة المطهرة للماء، فإن المسيح مات ليجعلني طاهراً وهو حي الآن لحفظي طاهراً.

أولاً وقبل كل شيء ينبغي أن دمه يغسلنا وإلا لا نستطيع أن نكون مرتبطين به ثم نحافظ على بقاء تلك الحالة بغسل الماء وإلا لا يكون لنا معه نصيب، فقال بطرس: «ليس رجلي فقط بل يدي ورأسي أيضاً» بطرس هنا يشبه الكثيرين من المؤمنين، لقد غسلوا بدم المخلص وغفرت خطاياهم ولكن إذا تدنس ضميرهم يعتقدون أنه يجب عليهم العودة ويغتسلوا مرة أخرى بدم المسيح ولكن إذا فعلوا ذلك فإنهم يقللون من قيمة دم المسيح وينزلون به إلى مستوى دم العجول والتيوس في العهد القديم «وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (عب١٠: ١٢).

إن فاعلية هذا الدم تبقى دائماً أمام الله وإمكانية غسل النفس بهذا الدم باقية إلى الأبد، إن ذبيحة العهد القديم ذبيحة غير كاملة لذلك كان من الضروري تكرارها ولكن ذبيحة الرب يسوع ذبيحة كاملة لذلك من المستحيل تكرارها. ربما نتساءل: وماذا عن السقطات اليومية وهذا هو موضوع هذا الفصل التطهير بالماء وليس بالدم لأن الماء يعطينا الشعور بالتطهير لذلك قال بطرس: «طَهَّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ» (١بط١: ٢٢).

لا أشك لحظة أن الماء هو كلمة الله وتطبيق الروح القدس الذي يطهر بواسطة الكلمة التي تأتي وتحكم علىَ بالتدقيق ويظهر هذا واضحاً في إجابة الرب لبطرس حيث قال له: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ» (لو١٣: ١٠، ١١) هناك كلمتان مختلفتان استخدمهما الرب هنا للتعبير عن معنى الغسل. الكلمة الأولى تحمل فكر التطهير بالغمر أو التغطيس في حمام ضخم كان يستخدمه الرومان في الصباح لغسل كل الجسد ولكن أثناء النهار كان يتم غسل الأرجل وهو شيء شائع للانتعاش وهنا تستخدم كلمة أخرى لمعنى الغسل وتعني غسل الأشياء الصغيرة.

والماء ذاته المستخدم هنا أو في أي مكان آخر في الكتاب كرمز يعني التطهير بالكلمة وتطبيق وقوة الروح القدس.

عندما يولد الشخص ثانياً من الماء والروح (أنظر يو٣: ٥) حينئذ يغتسل كل الجسد، هناك تطهير للأفكار وأيضاً للأفعال بالوسيلة التي تكوّن وتحكم القلب وهذا مرتبط بعمل المسيح على الصليب ودم الكفارة فإذا كان المؤمن قد تطهر بدم الرب يسوع فهو طاهر كله أكثر من الثلج بواسطة دم المخلص، ولكن إذا تدنس في الطريق بأي آثار من الدنس في هذا العالم الدنس يقول الرب: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ». ماذا تفهم بكلمة الأرجل؟ إنه المسير أو أنه السير إننا أثناء سيرنا هنا قد تتدنس أرجلنا وهذا لا يتناسب مع علاقتنا بالله ينبغي أن نبحث عن العلاج إن محبة الرب تقدم لنا العلاج والدواء فهو يغسل أرجلنا وهو يستخدم الماء فقط لفعل ذلك فإن النفس التي اهتدت إلى المسيح وتعامل معها الروح القدس بالكلمة وتم فيها عمل الله لا يمكن أن يتكرر هذا العمل مرة أخرى أو يتجدد رش الدم عليها بمعنى أنني لا يمكن أن أولد ثانياً مرة أخرى أو يمكن أن أتطهر من خطايانا بدم المسيح مرة ثانية.

ربما أخطئ وتدنس أقدامي في الطريق أو تنقطع الشركة مع الرب ولكن هنا نرى رقة المخلص ومحبته في رد النفس فهو لا يزال يستخدم المغسلة والمنشفة رغم عن كونه في المجد الآن.

كيف يكون هذا مؤثراً؟ يكون هذا مؤثراً دائماً بكلمة الله التي هي الماء، كيف تصلنا الكلمة؟ أنها تصلنا بطريقة خاصة حيث لا ننظر إلا إلى عينه، وعندما لا نسمع صوتاً إلا صوته، ربما من خلال الصفحات المكتوبة في الوحي، عندئذٍ تتم خدمة الانتعاش والراحة، وربما إنهاض ضمائرنا من خلال خدمة الأخوة حيث تصل الكلمة وتلمس قلوبنا من الرب في الغسل ولكن في الواقع هو الرب الذي يخدمنا، عيناه على كل القطيع ويعرف احتياج كل الغنم، يعرف كيف ينطق بالكلمة التي تنعش القلب وتزيل الدنس، وربما يتساءل البعض هذا السؤال، ماذا يحتوى يوحنا ١٣؟ غسل الأرجل– هل هو الكهنوت أم الشفاعة؟ والفرق هام جداً بين كلا الوظيفتين وله علاقة بشفاعة المسيح لأجلنا، إن الكهنوت يمارس في حالة عدم خطأنا والشفاعة تمارس عندما ترتكب خطأ ما وذلك لكي ترد الشركة. وهنا نرى أكثر طابع الشفاعة إنها خدمة محبته الكاملة حيث أنه لا يقدر أن يستريح إلا إذا شعبه بالقرب منه ويزيل كل معطل يبعد شعبه عنه، إنك عندما تحب شخصاً تريد أن هذا الشخص يكون قريباً منك حيث يستمتع بمحبتك أكثر لأن المحبة يجب أن تخدم وأما الأنانية تحب أن تُخدم، فالذي يروى الآخرين هو أيضاً ينتعش.

إنه من المهم أن نميز بين الكهنوت وشفاعة الرب يسوع، إن الكهنوت يجعل النفس أمام الله ويبعد النفس عن الفشل حيث أني أمام الله على نفس القوة وفي محبة عواطف قلب المسيح أمام الله في كل كفاية عمله الذي أكمله قبل أن يصبح كاهناً لأن المسيح لم يكن كاهناً وهو هنا على الأرض.

في رسالة يوحنا الأولى الاصحاح الثاني نجد ما هو الشفيع وهو نفس الكلمة المترجمة في إنجيل يوحنا ١٤، ١٥، ١٦ المعزي، المؤمن له معزيان واحد في السماء وآخر على الأرض، المعزي في السماء هو الرب يسوع وهو أمام الآب والمعزي على الأرض هو الروح القدس الذي يسكن في المؤمن، إن محبة الرب لنا لا تتوقف وهكذا في الروح القدس لا يتركنا أبداً فإن كنا نفكر في الرب في الأعالي والروح القدس على الأرض كلاهما مشغول ومهتم ببركة أولئك الذين يخدمونه.

وفي رسالة يوحنا الأولي نقرأ : «يا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ.» وفي العدد السابع من الفصل الأول يقول: «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» وهذه هي الصفة المستمرة الباقية للدم أنه طهرنا ويحفظنا طاهرين إنه الدم الذي يحفظك أمام الله طاهراً أي البر الإلهي، والماء الذي يحفظ طهارة ضمائرنا ويؤهلنا للشركة دائماً.

«إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا» إن قلنا أننا ليس علينا خطايا هذا صحيح لأن المسيح حمل خطايانا وأبعدها لكن إن قلنا أنه ليس لنا خطية فليس الحق فينا لأن هذه هي طبيعتنا كأولاد آدم ولا يزال يعمل فينا ولنا خطايا يكرهها الله وضمائرنا. فكيف إذاً يمكن لنا كمؤمنين التخلص من الخطايا اليومية؟ نجد الإجابة في: «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يو١: ٩)

وهنا نفترض وقوع المؤمن في خطية وهذا يعطل الشركة ويقطعها، إذاً ما هي الطريقة للتخلص من خطيته؟ كيف يرجع؟ إذا حاول المؤمن الرجوع إلى الله ويقول له كما قال في القديم «أنا خاطئ هالك»، سوف تسترد نفسه بهذه الطريقة؟ لماذا؟ لأنه ليس خاطئاً هالكاً ولكنه أبن قد تدنس، إن نفس المؤمن لا تستريح حتى ترجع وتعترف بالحالة الحقيقية قائلة للرب إنني أبن مخطئ، إن الشخص الأمين أمام الله يعترف بخطيته، حينئذٍ يتعلم ما هو الغفران، إن مجرد طلب الغفران والاعتراف بالخطايا شيئان مختلفان، الاعتراف يشمل التدريب الحقيقي الذي يأتي بالبركة وإن مجرد

طلب الغفران هو غالباً معنى سطحي، يجب أن يكون الاعتراف فردياً حيث يعترف الفرد شخصياً بخطيته للآب «والذي يقول أنه بلا خطية ليس الحق فيه، والذي يقول أنه بلا خطية يجعل الله كاذباً» (١يو١: ١٠).

ويؤكد الله في (رو٣: ٢٣) أن الجميع أخطئوا وأعوزهم مجد الله ولكن في رسالة يوحنا هناك راحة تامة للمؤمنين وللقديسين الذين عادوا إلى الخطأ حيث يقول: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل أثم» أمين وعادل تجاه المسيح الذي مات لأجل خطايا الشخص الذي يبحث عن هذه الراحة فهو يعترف بخطيته للرب.

سؤال وماذا يجد؟ (مز٣٢: ٥) «وأنت رفعت آثام خطيتي» ولكن هناك شيئاً أكثر من ذلك يجب علينا أن لا نخطئ ولا يوجد هناك سبب يجعلنا نخطئ إن الجسد فيك لا يعطيك الضمير الشرير إلا إذا سمحنا له بذلك «من قال أنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً» (١يو٢: ٦).

في الخدمة بقلم: ستيفن كامبل

دروس من حياة يوسف

"ونحن نتأمل فى يوسف سنجد قلوبنا تنجذب إلى الرب"

خلال دراستي الجامعية حضرت محاضرة لأحد جراحي المخ، كان يُحاول أن يشرح – في ساعة واحدة – بحثه عن أحد نوبات التشنج العصبي. وكان البحث واسع ومُعقد، لدرجة أنه كان يمكنه مواصله الحديث اليوم كله. وهذا هو الشعور الذي يتملكني الآن وأنا أحاول كتابة مقالة مختصرة عن حياة يوسف، لأن حياته موضوع واسع جدًا، كُتب عنه بالفعل كتب كبيرة.

إن قصة يوسف تحتوى على مبادئ وتوضيحات ورموز تُحرك أكثر المؤمنين الدارسين، وفى نفس الوقت يستمتع أصغر الأطفال بتفاصيلها الدراماتيكية التي تثبت كيف أن الله يهتم بأولاده. ولأن تدريبات يوسف يمكن أن تُفحص من وجهات مختلفة وكثيرة، فسنتأمل ببساطة فى قليل من اللقطات من حياته، تمامًا مثلما تعرض على أصدقاءك صورًا لأبهى أحداث أجازتك الأخيرة. هذه اللقطات التي جُمعت من تكوين٣٧–٥٠ ربما تقودنا إلى تكريس أعمق لله؛ نفس الإله الذي أظهر له يوسف ولائه وتكريسه طوال سني حياته التي بلغت ١١٠ عامًا.

توضيح لتوقيت الله:

لقد قرر الله أن يكون يوسف رئيسًا لوزراء مصر وهو فى الثلاثين من عمره، كما كان قد سبق وقرر أن يكون هو الأخ الحادي عشر فى أسرة مكونة من ١٢ ولدًا وبنتًا واحدة، وهو ترتيب ميلاد غير متوقَّع لمسئول حكومي بارز، فى هذا الجزء من العالم! وإذ بيع كعبد وهو فى ال١٧ من عمره بيد إخوته الذين ازدروا به، انتهى به المطاف فى بيت فوطيفار رئيس حرس فرعون. وبعد زمن من خدمة أمينة هناك، اتهمته امرأة فوطيفار بمحاولة اغتصابها، فأدى به هذا الاتهام الزور إلى السجن.

بعد مرور بضع سنوات تقابل يوسف مع ساقي فرعون وخبازه اللذين سُجنا أيضًا معه. وبحكمة من الله، فسر لهما أحلامهما، متنبئًا بأن يُطلق سراح الساقي، فى حين يُنفذ حكم الإعدام فى الخباز. ثم طلب من الساقي أن يذكره أمام فرعون ويعلن له براءته بعد أن يخرج من السجن.

لو كان هناك من يراقب الأحداث دون العلم بنهاية القصة لظن أن هذه اللحظة هي الفاصلة فى حياة يوسف؛ أخيرًا سيتمكن من رفع دعواه للملك! لكننا عوضًا عن ذلك نقرأ أكثر الأعداد إحباطًا فى سفر التكوين «وَلَكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ» (تك٤٠: ٢٣).

وبالرغم من اعتقاد مراقب الأحداث أن تلك كانت فرصة ضائعة، إلا أن وقت الله لم يكن قد نضج بعد. وبعد سنتين حلم فرعون أحلامًا غريبة عن بقرات وسنابل قمح، حينئذ تذكر الساقي مقابلته مع يوسف.

ولما استدعى فرعون يوسف من السجن، تعجَّب جدًا من البصيرة التي حباه الله إياها من جهة تفسير الأحلام، حتى أنه سلَّطه على كل أرض مصر، فكان وهو فى الثلاثين من عمره مسئولاً عن جمع الطعام خلال سني الشبع السبع، استعدادًا لمواجهة سني الجوع السبع، التي تنبأ عنها فى حلم فرعون. وبهذه الطريقة كان يوسف قد تعين لمساعدة، ليس فقط الأمة المصرية، بل أيضًا عائلته التي جاءت إلى مصر طلبًا للطعام أثناء المجاعة.

من وجهة نظرنا نحن لا نرى أي صلاح فيما صادف يوسف خلال ال ١٣ سنة المذكورة عالية، إلا أن توقيت الله ربط كل من هذه الأحداث المؤسفة بالتي تليها. ففي الوقت الذي بيع فيه يوسف عبدًا كان فوطيفار يطلب عبدًا، ثم تبلورت الأحداث ليوضع فى السجن، حيث قابل الساقي الذى نسيه أولاً، لكنه تذكره فيما بعد فى وقت أكثر حسمًا. وأخيرًا فإن مركز يوسف المرموق ونفوذه، دعّم الخير الجسدي لإخوته وأيضًا استعادهم روحيًا «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا» (تك٥٠: ٢٠؛ ٤٥: ٥– ٨). فكان يوسف مدركًا أن الله بنفسه هو من رتب هذه الأحداث.

وربما نواجه نحن أيضًا أحداثًا تتطلب الصبر الكثير لمواجهة الشدائد والظلم، لكن حياة يوسف تذكّرنا بأن الله صاحب السلطان، وأنه دائمًا مُمسك بزمام الأمور، مُركبًا حتى أحلك الظروف فى تصميمه الكبير للخير، وفى الوقت المناسب بالضبط.

كان من الممكن أن يدفع يوسف هذه الأحداث لمصلحته، لكنه بدل من ذلك وضع ثقته الصابرة فى الله، دون أي عجلة منه، حتى أنه أخذ وقتًا ليحلق قبل أن يترك السجن (تك٤١: ١٤). فعندما نبحث عن يد الله فى تجاربنا، نتشجع لأن نصبر ونثق فيه «انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ» (مز٣٧: ٧).

حياة مستقرة وأمينة:

تبقى المركب مستقرة فى أسوأ العواصف لو كانت مرساتها قوية. وقوة المرساة لا يمكن أن تُعرف إلا فى العاصفة! وهكذا فإن أمانة يوسف لمعت بالأكثر وسط التحديات التي قابلته. تأمل كيف صمد صلبًا ثابتًا، ومتكلاً على الله في كل ظروفه، بدءًا من حياته الأسرية. فبالرغم من علمه ببغضه إخوته له، لكنه أطاع أباه يعقوب، مستعدًا ومخلصًا، حينما أرسله إليهم ليطمئن على سلامتهم (تك٣٧: ١٣). وبلا شك أن الثقة التي حملها يعقوب لابنه الفتى، أدخلت السرور إلى قلبه.

لم تتغير صفات يوسف فى مصر فوثق به فوطيفار بعد وقت حتى أنه وكَّله على كل بيته «فَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ يَعْرِفُ شَيْئًا إِلاَّ الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ» (٣٩: ٦). ثم كان السجان هو ثاني مَن لاحظ هذه الأمانة، فدفع إلى يد يوسف جميع الأسرى، واعتمد عليه كليةً، حتى أنه لم يكن يشغل نفسه البتة لينظر شيئًا مما فى يده «وَلَمْ يَكُنْ رَئِيسُ بَيْتِ

السِّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئاً الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ» (٣٩: ٢٣). وأخيرًا عندما قابل فرعون، لم يحتاج سوى زيارة سريعة، ليقتنع فرعون بأمانته وبصيرته، فكانت النتيجة أن جعله ثانيًا على كل أرض مصر من بعده(٤١: ٣٧- ٤٠).

كم هو أمر صالح أن نبقى ثابتين ومُخلصين فى الوقت الذى نواجه فيه تحديات مزعجة، لأن مرساة رجاءنا ثابتة جدًا، لأنها تصل من قلوبنا إلى السماء عينها حيث الرب يسوع جالس لأجلنا (عب٦: ١٩- ٢٠).

على النقيض من إخوته:

لم تكن شهادة يوسف لامعة فى أحلك الظروف فحسب، بل أيضًا كانت مناقضة لتلك التي لإخوته المتمركزين حول ذواتهم. فنحن نقرأ فى تكوين ٣٧: ٢ عن «نميمتهم الرديئة»، لكننا نقرأ أيضًا عن بعض الصفات الذميمة التي لإخوته الأربعة الأكبر، الذين كان يجب أن يكونوا أفضل أمثلة يُقتاد بها. فيروى لنا سفر التكوين ٣٤ عن خداع كل من شمعون ولاوي وقسوتهما، عندما فكرا فى أن يثأرا لشرف أختهما، الأمر الذى أثار استياء يعقوب فى هذه المناسبة، كما فى غيرها، حتى أنه كان لا يزال يذكر تلك الصفات وهو على فراش الموت (تك٤٩: ٥- ٧). أما عن رأوبين الابن الأكبر، فقد سجل له الوحي فعلته الجنسية اللا أخلاقية في تك٣٥: ٢٢. وكذلك حياة أسرة يهوذا الدنسه المبتذلة المكتوب عنها فى تكوين ٣٨ والتي امتدت لسنوات.

كان من الممكن أن يؤثر فشل إخوة يوسف فيه ليفشل مثلهم، وبلا شك أن الفرصة أتته ليُكرّر أخطائهم مع امرأة فوطيفار، إلا أن نبل أخلاقه وثباته لمع أكثر عندما وضع فى المقابلة مع الخلفية القاتمة التي لعائلته. إن أمانة يوسف تشجعنا أن نستمر فى الثبات، وأن نحترص من الذلل، حتى ولو وجد بين إخوتنا وأخواتنا فى المسيح مَن يبدون ساقطين. لكن هذا لا يعنى أن أي اختلاف بيننا وبين إخوتنا المؤمنين لابد أن يعنى إخفاقهم فى الثبات لكن بكل تأكيد هناك أوقات تكون فيها اختلاف وجهات النظر فرصة لنا لنتعلم من الآخرين. أما إذا كانت هناك مشكلة من جهة الطهارة الأدبية أو التمييز الروحي فهذه هي فرصة لإظهار مجد المسيح من خلال أمانتنا.

رجل قد بكى:

ونحن نقرأ قصة يوسف نلاحظ كم من مرات بكى! لكن هل لاحظنا أن مرات بكائه أتت جميعها بعد أن تقلد مركزًا ساميًا. فى العادة يأتي البكاء بعد الظلم لكن قلما نجده عند رجال ذوي سلطة، أما يوسف فيستعرض العكس أمامنا: كان أمينًا صامتًا وهو مغمور فى محنته، وبكى منحنيًا وهو معروف ومشهور ومُتسلط. إننا بحاجة إلى المزيد من تلك الصفات فى شعب الله اليوم!

لقد تحدث إخوة يوسف عن «ضِيقَةَ نَفْسِهِ» التي رأوها عندما رموه فى البئر (٤٢: ٢١)، لكننا بعد ذلك نجد أن دموع يوسف كانت مرتبطة دائمًا برؤية أسرته (على الأقل فى ست مناسبات). لقد بكى عندما بدأ إخوته فى الندم (٤٢: ٢٤)، وأيضًا عندما رأى أخيه الأصغر بنيامين (٤٣: ٣٠). وعندما كشف نفسه لإخوته، كان نوحه عاليًا بالدرجة التي جعلت كل أهل بيته يسمعوه (٤٥: ٢)، كما بكى عند التئام شمله بأبيه، وأيضًا عند موت أبيه (٤٦: ٢٩؛ ٥٠: ١).

لكن ربما كان البكاء الأشد هو الناتج عن كسر قلبه، حينما أتى إليه إخوته بمخاوف مجددة من النقمة (٥٠: ١٧)، إذ كانوا لا يزالون يشكّون في عواطف ومحبة قلبه تجاههم. وبكل يقين لابد أن الرب يسوع أيضًا يتألم كثيرًا، عندما نأتي إليه متذكرين سقطاتنا ومتشككين فى محبة قلبه لنا. دعونا لا ننسى أبدًا محبته الثابتة الغير متغيرة.

صورة للرب يسوع:

إن قصة يوسف تُمثل رجلاً فى غاية الكمال، رفضه إخوته وبيع عبدًا، ثم اتهم زورًا، لكن الله رفعه فيما بعد إلى مركز سامٍ ومجيد. وكقائد مُرفَّع حكم مملكة فرعون، واتخذ لنفسه عروسًا. ألا تبدو هذه القصة مألوفة على مسامعنا؟ ففي هذه المشاهد الدقيقة، وأيضًا فى أصغر تفاصيلها، يُعطينا يوسف صورة رائعة للرب يسوع، لذلك فإن التأمل فى تكوين ٣٧– ٥٠ حسن لقلوبنا، لكي نتعلم أكثر عن طرق فادينا المباركة. وبينما نحن نتأمل حياة يوسف سنجد قلوبنا تنجذب إلى الرب، وأقدامنا تتبع خطاه، لأن طريقه هو كل ما نتمناه.

لآلئ من الكلمة بقلم: ف. ب. ماير

يا للمياه من بيت لحم!!

لابد أن يكون ذلك الجمع الذي احتشد لتتويج داود ملكًا على كل إسرائيل؛ قد بلغ من الروعة منتهاه. يسجل لنا سفر أخبار الأيام الأول (ص ١٢: ٢٣ إلخ) أسماء، وعدد قادة الشعب الذين حضروا في هذه المناسبة العظيمة الشأن:

اجتمع عظماء وأبطال وذوو بأس، من يهوذا وشمعون، من بني لاوي تحت قيادة يهوياداع وصادوق ورجال مبرزون من أفرايم، من بني يساكر، الخبيرين في الأوقات، من زبولون، الأشداء في الحروب. هؤلاء وغيرهم الكثيرين «أتوا بقلب تام إلى حبرون ليملِّكوا داود على إسرائيل، وكانوا هناك مع داود ثلاثة أيام»، يأكلون ويشربون كل شيء؛ وقد اشترك في هذه الولائم، الأسباط البعيدة، مثل زبولون ونفتالي، كما اشترك فيه القريبون، وبذلك ساهمت كل جماعة إسرائيل في الفرح بهذه المناسبة.

على أن الفلسطينيين كانوا يرقبون هذا المنظر باستياء شديد، لأنه طالما كان داود قانعًا بدائرة ملكه الصغيرة في حبرون، تاركًا لهم الحرية للإغارة على القبائل الشمالية حسب إرادته، لم يشاءوا أن يتدخلوا، ولكن، عندما سمعوا أنه مُسح ملكًا على كل إسرائيل، نزلوا ليفتشوا عليه، ولعلهم انتظروا، حتى انتهى ذلك الاحتفال الرهيب، وتفرقت إسرائيل إلى أوطانها، وحينئذٍ، هجموا على يهوذا بعدد وفير جدًا من رجالهم، وانبثوا في وادي أفرايم، وقطعوا اتصال داود بأسباط الشمالية، حتى اضطر إلى الالتجاء برجاله الأبناء، وأتباعه الستمائة، إلى الحصن الذي لابد أن يكون هو مغارة عدلام الشهيرة. (قارن ٢صم ٥: ١٧ بأصحاح ٢٣: ١٣، ١٤).

١. انقلاب فجائي:

كان يلتف حول داود، بالأمس، جماعة من أقوى المحاربين الذين شاهدتهم البلاد في أجيال كثيرة. لقد رُفع إلى العرش بابتهاج شعبي، ليملك على كل الشعب، بعد أن أصبح كتلة واحدة. كان واثقًا أنه متمتع بمحبة شعبه القلبية الخالصة، أما اليوم، فنراه يهجر حبرون – التي أقام فيها أكثر من سبع سنوات، في حياة هادئة، مطمئنة – ليعود إلى الجبال، والقفار، التي لجأ إليها من قبل؛ إذ هرب من وجه شاول. كان ذلك

انقلابًا فجائيا في حياته؛ ظلمة داهمة في رائعة النهار، سحابة قاتمة في جو صحو. والأرجح أنه لجأ إلى الله. هذه الأيام، لصق فيها بصديقه القدير، ولم يخامره أي شك، لحظة واحدة، في أن الله لابد أن يتمم كل ما هو من ناحيته، ويثبته إلى النهاية، على عرش المملكة.

مثل هذه الانقلابات الفجائية تأتي إلينا، لكي تهدم ثقتنا في البشر، وفي كل شيء، لكي تمنعنا عن بناء العش، على أية شجرة أرضية، ولكن؛ تدفعنا إلى تثبيت كل رجائنا في الله وحده. كان من النافع جدًا، تذكير داود، في هذه الأزمة الخطيرة في حياته، بضرورة اعتماده على الله في كل ظروف حياته، وبأن مَنْ يمنح البركات، يستطيع بسهولة أن يستردها. يجب أن تعلم يا مَنْ تعيش في هذا العالم، عالم الفناء، بأن دروسًا كهذه، سوف تُقدّم إليك حتمًا، لتتعلمها. في ساعة الانتصار العظيم، يجب أن تذكر، ذاك الذي حسبك أمينًا، بأن تكون وكيلاً له. يجب أن تعلم، بأن ما وصلت إليه من مركز رفيع، وقوة ونفوذ، إنما هو عطية منه، ووكالة، اؤتمنت عليها لمجده؛ إذن، فلا تتعجب، إن كان يزعزع عرشك بين الآونة والأخرى، لكي تتذكر، بأن ثباته لا يُعزى لأية امتيازات موروثة، بل لمحض إرادته، وقوة اقتداره.

وهذه المفارقة بين مسحه في حبرون، وحرب عدلام، تمثّل لنا اختبار الرب يسوع، الذي بعد أن مُسح في الأردن، أُقتيد بالروح، إلى برية يهوذا، ليجرّب أربعين يومًا من إبليس، وهذا هو ناموس الحياة الروحية. إن حياة الشهرة والازدهار، المزدوجة بالاختلاط بالجماهير، لا تمكِّن من النمو والكمال في الحياة الروحية؛ أما الوحدة والعزلة، والصراع العنيف، والتجارب، فهي تشعل الحياة الروحية وتلهبها، وتعدنا لخدمة المساكين، والمنكسري القلوب، والمساجين، والمأسورين، والعمي.

٢. بريق من النور

وفي وسط ظلمة تلك الساعات القاتمة، انبثق بريق من النور، من ثنايا بعض الحوادث المشهورة، فإن عظماء إسرائيل، أظهروا مقدرة فائقة في مبارزة أبطال الفلسطينيين، مبارزة فردية، ثم إن أبيشاي، ابن صروية، ضرب جبار الفلسطينيين، الذي خُيل إليه، أنه قتل داود بسيفه الجديد، والحانان ابن يعري، قتل شقيق جليات، الجتّي ويوناثان ابن شمعي، أخي داود ضرب رجلاً طويل القامة، أصابع كل من يديه ورجليه ست، إذ عيّر إسرائيل (٢صم ٢١: ١٧-٢١)، وأليعازر وقف في الثغرة – عندما هرب الباقون – وضرب

الفلسطينيين، حتى كلّت يده، وصنع الرب خلاصًا عظيمًا على يديه، ورجع الشعب وراءه للنهب فقط (٢صم ٣٢: ١٠). مثل هذه المعجزات، تمت حول شخص قائدهم، الذي سُرّ تابعوه أن يدعونه «سراج إسرائيل»، رغم الظلمة الحالكة التي كانت سائدة إذ ذاك (٢صم ٢١: ١٧).

يا للمعجزات التي يمكن إتمامها بإيحاء نفس واحدة. وفي هذه المناسبة، لا يسعنا إلا أن نعود بالذاكرة، إلى تلك الساعة الرهيبة الخطيرة، التي برز فيها شاب مجهول، من صفوف إسرائيل المرتعدة، لمبارزة جليات، القوي الجبار، ورغم أنه كان وحيدًا – من ناحية المعونة البشرية – فإنه انتصر على ذلك العدو الرهيب. أما الآن، وقد مضى على تلك الحادثة نحو أربعة عشر، أو خمسة عشر عامًا، فإنه لا يقف بمفرده، بل كان معه عدد وفير من رجاله الذين تشبعوا بروحه، والتهبوا غيرة بإيمانه، والذين دفعوه برقة إلى المؤخرة، وأخبروه بأنهم يجب أن يكونوا هم، في مقدمة الحرب، لكي يتحملوا كل خطر عن حياته الغالية، التي كانت مصدر كل نشاطهم وقوتهم، والتي يجب أن لا تتعرض للخطر، بلا مبرر.

وهكذا نرى أن حياة العظماء، والأبطال، تبعث الحياة في نفوس الكثيرين، وخاصة من معاصريهم، وكم من أشخاص دُفعوا إلى ميدان الخدمة، عن طريق القدوة الصالحة؛ والذين كانوا تلاميذ المسيح، صاروا رسله وشهداءه. لقد صارت حياته التي عاشها على الأرض – حياة البذل والتضحية، من أجل الآخرين – منارة جذبت ربوات من البشر، من الأودية الواطئة أودية محبة الذات، ودفعتهم إلى حياة التسليم، وإنكار الذات وآلام الصليب، ولازال تأثيرها هذا، باقيًا لكل النفوس التي تتبع خطواته.

٣. حادثة مؤثرة:

لم تكن عدلام بعيدة عن بيت لحم. لطالما كان داود، يرعى غنم أبيه في أيام شبابه، في نفس الأودية التي كان يلجأ إليها الآن، وكانت تلك المناظر التي ألفها، تعيد إليه ذكريات الماضي، وتذكره بأبيه يسى، وأمه، وبيت أبيه، في صباه كما، تذكرنا رائحة معينة، أو نغمة مألوفة، ببعض حوادث معينة.

وفي مساء أحد الأيام، مثلت أمامه هذه الذكريات بشكل واضح، كل الوضوح، مما لم يعهده من قبل، فشعر بانقباض في نفسه. كان في ذلك اليوم، يقيم في الحصن كأنه سجين، ورأي عن بعد، أن جماعة من الفلسطينيين اقتحموا بيت لحم، وبغتة أحس بشهوة ملحة للتذوق من مياه «بئر بيت لحم التي عند الباب»،

وبغتة، خرجت من بين شفتيه – رغم إرادته – بضع كلمات، تعبير عن هذه الشهوة، لم يكن يتوقع، أن أحد أبطاله، سمع هذه الكلمات، أو أنه، إن وجد هنالك من سمعها، فلن تبلغ به الحماقة، إلى حد أنه يحاول أن يشبع هذه الشهوة؛ لو أن هذا الخاطر، جال في ذهنه خاطئاً، فإنه لم يكن قد سبر بعد غور محبة أبطاله له.

سمع عَرَضا بهذه الرغبة، ثلاثة من أبطاله، فتسللوا خفية من المغارة، ونزلوا إلى الوادي، وشقوا طريقهم وسط جنود الفلسطينيين، استقوا ماء من البئر، وأتوا به بين يدي داود، قبل أن يشعر بغيابهم؛ وبهذا التصرف، عبر هؤلاء الأبطال عن محبتهم، التي كانت أقوى من الموت، أما داود؛ فإنه لم يستطع شرب الماء، وبدا في عينيه، ذلك الإناء الذي يحمل الماء، كأنه يسطع بنور قرمزي، بانعكاس لون الدماء، التي كان ينتظر أن يكلفها الماء. بعد ذلك، نراه بروح الشهامة–التي لازمته أبداً، كل أطوار حياته المختلفة، والتي خشع أمامها كل تابعيه – ينهض، ويسكبه للرب، (كأن هذه الهدية النفيسة لا يليق إلا أن يقدمها للرب) قائلاً وهو يسكبه؛ «حَاشَا لِي يَا رَبُّ أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ! هذَا دَمُ الرِّجَالِ الَّذِينَ خَاطَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ». (٢صم٢٣: ١٧).

وهنا نرى صورة لامعة أخرى في هذه الحادثة الرائعة، التي تمثل قوة ضبط النفس العجيبة، التي نعم بها داود؛ فإنه إلى ذلك اليوم، كان في كل أيام حياته، ممنطقاً حقويه بشدة، إذ لم يسمح لأية رغبة من رغباته، أن تكون لها السيادة عليه. لقد نعلم أن يكبح كل الشهوات الجامحة، وكل الأهواء المنحرفة، بعزم حديدي لا يلين، لكي يعيش حسب المُثل العليا، للرجولة الكاملة، ومقدماً نفسه قدوة، كملك كامل، وكان ينظر على الدوام، لإشباع رغائبه، كأمر ثانوي، بالنسبة إلى المبادئ العليا النبيلة.

جميل جداً أن يتساءل كل الشبان والشابات، وغيرها ممن يقرأون هذه الكلمات: هل إذا كانت الشهوات التي تعودوا الانغماس فيها مع أقرانهم، لا تكلف ثمناً غالياً؟ أيجرؤون أن يتجرعوا كأس الملذات في دار التمثيل، أو السينما، لو تحققوا أنها لم تقدم إلى شفاههم، إلا بدماء عشرات من النفوس، التي قد ضحّت بأدبها، واحتشامها، وفضيلتها، وراء الستار؟ أيجرؤون أن يتجرعوا كأس الخمر، لو أنهم أدركوا، أن عادة تعاطي المسكرات، تكلف سنويًا سعادة، وحياة ربوات من البشر، بل وسعادتهم الأبدية؟

كم مرة تأوهنا، لطلب المياه من بئر بيت لحم؟ كم مرة رجعنا بذاكرتنا إلى الماضي، وفكرنا طويلاً في تلك الذكريات، التي لن تُمحى؟ كم مرة تشوقنا، بأن نرى ذلك الوجه مرة أخرى؟ أن نحس بلمسة تلك

اليد الرحيمة، وأن نسمع ذلك الصوت؟ كم من مرة تمنينا العودة لتلك السنوات السعيدة، التي لم تُمس فيها الشجرة المحرّمة، ولم يُشهر فيها لهيب السيف المتقلب؟ كم مرة تمنينا رؤية جديدة، وتكريس حياتنا لخدمة السيد، والاستمتاع من جديد، ببهجة محبته!! ليت لنا مَنْ يسقينا من مياه بئر بيت لحم التي عند الباب. هذه كلها تأسفات باطلة، فإنه لن توجد هنالك قوة كافية، بأن تنفذ في طيات السنين السالفة، وتعيد إلينا الماضي. على أن طلبة النفس، يمكن تحقيقها في ذلك الذي قال «كل مَنْ يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا، ولكن مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية». إن النفس لن تروي ظمأها من بئر بيت لحم، ولكنها تجد ريها إلى الأبد، في ذاك الذي وُلِد في بيت لحم.

٤. هزيمة الفلسطينيين

لم تغير حياة الرخاء من وجهة داود نحو انتظار الله والاتكال عليه، لقد ظل كما كان، حين أتى أولاً إلى حبرون، وفي ساعة الحيرة هذه، سأل الرب قائلاً «أ أصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟»، وأجابه الرب، مؤكدًا له النصرة.

وعندما ابتدأت الحرب، خُيل إليه، كأن الرب يكتسحهم أمامه، كطوفان الشتاء الذي يكتسح كل ما يجد أمامه عند انحداره من سفح الجبل، وهذا ما قاله «قد اقتحم الرب أعدائي أمامي كاقتحام المياه». ولم يجد العدو وقتًا، حتى لأخذ أصنامه التي وصلت لأيدي الغزاة.

«ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا لاسترداد سيادتهم القديمة» (٢ صم ٥: ٢٢). وعاد داود أيضًا لانتظار الرب، ولب إرشاده، وحسنًا فعل، لأن خطة الهجوم لم تكن كسابقتها؛ يجب على الذين يتكلون على معونة الله أن يحرصوا على أن يكونوا في صلة مستمرة معه، والمعونة التي أُعطيت بالأمس بشكل معين، تُعطَى غدًا بشكل آخر. في الموقعة السابقة، انتصر داود على الفلسطينيين، بالهجوم عليهم، وفي هذه الموقعة الثانية، دار من ورائهم، وصنع لهم كمينًا؛ سواء عكس داود الخطة، أو اتبّع خطة واحدة في كلتا الموقعتين، دون طلب إرشاد الله ومعونته، لكان قد خسر مؤازرة الجيش العلوية، التي كانت تعمل كحلفائه الأقوياء، الذين لا تقوى عليهم أية قوة من القوات.

وهذه الخطوة التي اتخذها داود «مقابل أشجار البكاء»– والتي كانت تشير، بأن الكمين يجب أن يتحرك، ويهجم على العدو– تبين ضمناً سماع «صوت خطوات» جيوش الملائكة غير المنظورة، تتقدم إلى ساحة الحرب (٢صم٥: ٢٣، ٢٤) «يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين»، حينئذٍ، اقتحم داود صفوفهم، وضربهم، من جبع، إلى ساحل البحر.

قد يدعونا الله أحياناً إلى المسير، وأحياناً إلى الوقوف. أحياناً إلى العمل، وأحياناً أخرى إلى الألم، في هذه الموقعة إلى الهجوم كالسيل الجارف، وفي الموقعة التالية، أن ندور خلسة، ونصنع كميناً، وننتظر. يجب أن لا نصر على الجمود، والبقاء على حال واحدة؛ ما يصلح في بيت غزالة المتواضع (أع٩: ٢٦)، لا يصلح في قصر كرنيليوس الفاخر. ليكن لنا إيمان حي في الله. لننتظر بهدوء وسكينة في الصلاة على سطح المنزل، لننتظر أمر روح الله لنا بالرحيل، حسبما يدبره لنا. لنكن مستعدين بأن نتبعه، ولو كان في ذلك تضحية جبارة في حياتنا، وكيف أنه يستطيع أن يخترق صفوف أعدائنا، ويقدم لنا جيوشه العلوية، السريعة الخطى، لإغاثتنا.

من قاموس الكتاب :

سفر الرؤيا

سفر نبوي ، طابعه قضائي ، هو خاتمة أسفار الوحي ، كتبه يوحنا آخر كتبة الوحي ، وقد كتب لنا خمسة أسفار تماماً مثلما كان الحال مع موسى أول كتبة الوحي الذي ساقه الروح القدس لكتابة خمسة أسفار أيضاً. يرجع تاريخ كتابته لنحو سنة ٩٥ م.

أهمية دراسة النبوة :

١. توضيح نصرة الله في النهاية.
٢. إعلان صدق كلمة الله النبوية.
٣. استعلان مجد المسيح العتيد.
٤. فهم طابع أيامنا.
٥. تحذير للغافلين.
٦. تعزية للمتألمين.
٧. تشجيع بقوة الرجاء.

سفر الرؤيا هو :

- سفر مهمل رغم الطوبى التي في مقدمته لمن يقرأ ، ويسمع ، ويحفظ أقوال السفر (١ : ٣).
- سفر الترنيمات المتصاعدة للقديسين ، والويلات المتصاعدة على غير المؤمنين.
- سفر النهايات في مقابلة مع سفر التكوين ؛ سفر البدايات. فيه نقرأ عن نهاية الأرض والسماء والشيطان والأشرار والأبرار .... إلخ.
- سفر العرش والحكم الإلهي.
- سفر الدينونات حيث أن طابعه العام قضائي.
- سفر الحكمة الإلهية في المعاملات ، وفي المواقيت.
- سفر الرحمة في مشهد القضاء.

تقسيم السفر : أساساً يقسم إلى ٣ أجزاء رئيسية : ما رأيت ، وما هو كائن ، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا (١: ١٩).

١. مقدمة	١ : ١ – ٨	
٢. ما رأيت	١ : ٩ – ٢٠	(منظر الرب القضائي)
٣. ما هو كائن	٢ ، ٣	الكنائس السبع.
٤. ما هو عتيد أن يكون بعد هذا :		
	٤ ، ٥	عرش القضاء والسفر المختوم.
	٦ – ١٦	مبتدأ الأوجاع والضيقة العظيمة.
	١٧ ، ١٨	دينونة بابل (النظام الديني العالمي).

١٩	الظهور.
٢٠	الدينونة والمُلك.
٢١ ، ٢٢	النهاية والأبدية.

كما يمكن تقسيم السفر تقسيماً سباعياً كما يلي :

١. منظر الرب القضائي السباعي (١ : ١٤ – ١٦).
٢. الرسائل إلى الكنائس السبع (٢، ٣).
٣. الختوم السبعة (مبتدأ الأوجاع) (٥ – ٨).
٤. الأبواق السبعة (النصف الثاني من أسبوع الضيق) (٨ – ١١).
٥. الشخصيات السبعة الرئيسية في أسبوع الضيق (١٢ ، ١٣).
٦. الأحداث السبعة والرد الإلهي السباعي (١٤).
٧. الجامات السبعة (١٥ ، ١٦).
٨. الدينونات السبعة (يوم الرب) (١٧ – ٢٠).
٩. ٧ جمل اعتراضية (معظمها رحمة) في السفر :

- ص ٧ بين الختم السادس والختم السابع.
- ص ٨ : ٣ – ٥ صلوات القديسين في السماء.
- ص ١٠ – ١١ : ١٢ بين اليوم السادس والسابع.
- ص ١١ : ١٩ إلى ص ١٥ : ١٤ ٣ آيات.
- ص ١٦ : ١٣ بين الجام السادس والجام السابع.
- ص ١٧ – ١٩ : ١٠ دينونة بابل وعرس الحمل.
- ص ٢١ : ٩ – ٢٢ : ٥ الخروف وامرأته.

<u>نظرة سريعة على الكنائس السبعة :</u>

كما كتب الرسول بولس رسائل بالوحي إلى ٧ كنائس (هي : رومية ، وكورنثوس ، وغلاطية ، وأفسس ، وفيلبي ، وكولوسي ، وتسالونيكي) ، كتب يوحنا بإعلان من الرب يسوع رسائل إلى سبع كنائس كانت موجودة آنذاك في منطقة أسيا الصغرى (هي : أفسس ، وسميرنا ، وبرغامس ، وثياتيرا ، وساردس ، وفيلادلفيا ، ولاودوكية).

وهذه الرسائل مليئة بالتحريضات ، والتشجيعات وأيضاً نقاط التوبيخ والضعف التي لزمت لكل كنيسة منها في زمانها وهي في مجملها لازمة لكنيسة الله في كل مكان وفي كل عصر ، كما وأنها نافعة جداً حال تطبيقها على المؤمن الفرد.

إلا أنه يظل هناك تطبيقاً هاماً ورائعاً يتناسب مع جو السفر النبوي ، هو أن هذه الرسائل السبع ، وبالترتيب ، تمثل لنا رحلة الكنيسة في أدوار سبعة منذ العصر الرسولي وحتى الاختطاف الوشيك.

فكنيسة أفسس تمثل العصر الرسولي وما تلاه حتى سنة ١٦٧ م.

وكنيسة سميرنا تمثل عصور الاضطهاد والاستشهاد من سنة ١٦٧ وحتى سنة ٢١٢ م.

أما كنيسة برغامس فهي تمثل اعتناق قسطنطين للمسيحية وجعلها الديانة الرسمية للدولة سنة ٣١٣ م.

وبينما تمثل الكنائس الثلاثة السالفة الذكر أدواراً بدأت وانتهت (حيث تسبق الدعوة لمن له أذن للسمع فليسمع ، الوعد للغالب) ، فإن الأدوار الأربعة التالية تمثل مراحل بدأت وتستمر حتى مجيء المسيح (حيث يسبق الوعد للغالب الدعوة لمن له أذن للسمع فليسمع).

فثياتيرا تمثل لنا الكنائس التقليدية عموماً وعلى رأسها كنيسة روما.

وساردس تمثل البروتستانتية كتالية لحركة الإصلاح.

أما فيلادلفيا فهي تمثل النهضات الروحية المباركة في العودة إلى المكتوب وتمجيد المسيح.

وأخيراً لاودوكية وهي تمثل حالة روحية وأدبية من الفتور وعدم الوضوح تسبق مجيء الرب مباشرة.

ومما يذكر أن ثياتيرا وساردس تمثلان نظامين ، في حين تمثل فيلادلفيا ولاودوكية حالتين أدبيتين.

ويمكن عمل جدول دراسي للمقارنة على الوجه التالي :-

الكنائس السبع / وجه المقارنة	أفسس	سميرنا	برغامس	ثياتيرا	ساردس	فيلادلفيا	لاودوكية
اسم الكنيسة ومعناه	محبوبة أو مشتهاة	مُر	زواج بالإرغام	ذبيحة متكررة أو مسرح	بقية	المحبة الأخوية	حكم الشعب
اسم الرب ووصفه لها	الممسك السبعة الكواكب في يمينه الماشي في وسط السبع المنابر الذهبية	الأول والأخر والذي كان ميتاً فعاش	الذي له السيف الماضي ذو الحدين	ابن الله الذي له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقي	الذي له سبعة أرواح الله والسبعة الكواكب	القدوس الحق الذي له مفتاح داود. الذي يغلق ولا أحد يفتح ويفتح ولا أحد يغلق.	الشاهد الأمين الصادق. بداءة خليقة الله .
مديح الرب	أعمالك - تعبك – صبرك - لا تحتمل	أعمالك – ضيقتك وفقرك معروفٌ	متمسك باسمي ولم تنكر إيماني.	أعمالك الكثيرة ومحبتك وخدمتك	عارف أعمالك – أسماء قليلة لم	حفظت كلمتي - لم تنكر اسمي -	لا يوجد

	الأشرار - تمتحن	للرب.		وإيمانك وصبرك.	ينجسوا ثيابهم.	حفظت كلمة صبري	
عندي عليك	تركت محبتك الأولى	لا يوجد	قوم متمسكين بتعليم بلعام – قوم متمسكين بتعليم النيقولاويين.	تسيب المرأة إيزابل (الشريرة).	لك اسم أنك حي وأنت ميت – لم أجد أعمالك كاملة أمام الله.	لا يوجد	أنت فاتر – أنت مدعي.
الدعوة للسمع	تأتي قبل الوعد للغالب	تأتي قبل الوعد للغالب	تأتي قبل الوعد للغالب	تأتي بعد الوعد للغالب	تأتي بعد الوعد للغالب	تأتي بعد الوعد للغالب	تأتي بعد الوعد للغالب
الوعد للغالب	سأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في فردوس الله	لا يؤذيه الموت الثاني.	سأعطيه أن يأكل من المن الخفي + حصاة بيضاء عليها اسم جديد.	سأعطيه سلطاناً على الأمم فيرعاهم بقضيب من حديد.	سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته.	سأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يعود يخرج إلى خارج وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي واسمي الجديد.	سأعطيه أن يجلس معي في عرشي.
الفترة التاريخية	من أيام العصر الرسولي إلى نحو سنة ١٦٧	من ١٦٧ م - ٣١٣ م	من نحو ٣١٣ م – ٦٠٠ م	من نحو ٦٠٠ م إلى مجيء الرب.	من نحو ١٥٠٠ م إلى مجيء الرب.	من نحو ١٨٠٠ م إلى مجيء الرب.	من نحو ١٨٩٠ م إلى مجيء الرب.

	م						
أهم الدروس	مقياس الروحانية محبتنا للرب	احتمال الألم فالسلطان في يد الرب.	رفض كل صور العالم وبالأولى في الكنسيات.	كفاية عمل المسيح وحده للخلاص.	الحرص على الجوهر لا النشاط والمظهر.	التقوى والقداسة والتشجيع بقرب مجيء الرب.	التحذير ضد السير وراء رغبات الشعب وضد الكبرياء والإدعاء.

تأملات هادئة

بقلم: ماكنتوش

بدون إيمان

«لكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ» (عب١١: ٦)

إن الأساس الراسخ للتكريس هو الإيمان البسيط بالله الحي. ولا يمكن أن نرضيه بدون إيمان وهذا هو السر. ويجب أن نتعامل معه – له المجد– في الغرفة السرية لأرواحنا بعيداً عن أي اتكال بما حولنا. إن شركتنا الشخصية معه يجب أن تكون حقيقية حية وفعالة ترتكز على أسلوب حياتنا وهو ما ينبع من دعم أرواحنا ونفوسنا في كل الأوقات وتحت كل الظروف.

وليست هناك اختيارات تفيد في ذلك أكانت عقائد أو قانون الإيمان المسيحي كما ولا يفيد أيضاً أن نردد بشفاهنا "أؤمن بالله الآب كلي القدرة". ليس هناك ما يسند قلوبنا في مثل هذه الأيام إلا أن تكون لنا علاقة حية مع إلهنا قلبياً. فهناك الكثير من الأمور الجوفاء والسطحية. وهناك حاجة ملحة في بساطة وهدوء نفسي للإيمان الشخصي بالله وللثقة غير المتزعزعة بكلمته والاتكال البسيط والثابت على حكمته وصلاحه وقوته وبره.

هذه هي مرساة النفس وبدون تلك المرساة لا يمكننا أن نعبر خضم الأمواج الهائجة في هذه الأيام. وإذا كنا نستمد التشجيع حتى من أفضل الناس وإذا كان يقيننا يرتكز على حكمتهم وحتى إذا تعلمنا منهم مخافة الله بسلوكهم فقد نبقى متأكدين أن هذه جميعها – على الأقل – سيتم اختبارها وتظهر على حقيقتها. وسوف لا يبقى للبنيان إلا الإيمان الذي ينظر ليس للأمور الوقتية بل إلى الأشياء التي لا تُرى وأبدية.

تأملات هادئة بقلم: ماكنتوش

إيمان عظيم يفشل مع أعزائنا

وإلهنا العظيم يحفظ أخواتنا

«وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: هِيَ أُخْتِي. فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ ... فَقَالَ لَهُ اللهُ فِي الْحُلْمِ: أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا ... ثُمَّ دَعَا أَبِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا؟ وَبِمَاذَا أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟ أَعْمَالاً لاَ تُعْمَلُ عَمِلْتَ بِي. وَقَالَ أَبِيمَالِكُ لإِبْرَاهِيمَ: مَاذَا رَأَيْتَ حَتَّى عَمِلْتَ هذَا الشَّيْءَ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي قُلْتُ: لَيْسَ فِي هذَا الْمَوْضِعِ خَوْفُ اللهِ الْبَتَّةَ، فَيَقْتُلُونَنِي لأَجْلِ امْرَأَتِي». (تك٢٠: ٢-١١)

كشف إبراهيم أصل عدم الإيمان بوعد الرب له حينما ذهب إلى مصر بعيدًا عن المجاعة في بلده للمحافظة على حياته وخدع المصريين بأن سارة ليست زوجته. وبقي ذلك الأصل، إذ لم تعمل سكين إدانة الذات على اجتثاثه وطغى – ذلك الأصل – على السطح مرة أخرى وظهر في أبيمالك؛ كما ذُكر في افتتاحية سفر راعوث.

أليس لدينا مثل هذه الجذور؟ بالحقيقة، نعم. فلدينا جذورًا قوية وعميقة ومُرة، وقد تكون مصدر خزي وحزن لنفوسنا ولمَنْ حولنا. ويجب أن نصل إليها وندينها في الحال إذ أن بقاءها أكثر سسيكون مستحيلاً أن نصل إلى خطوة متقدمة في طريق التكريس. حيث أن الأخير ليكون صادقًا وثابتًا ومثمرًا يجب أن يتثبت على أساس الإيمان وحياة السجود وعبيره. وقد تكون النفس – أساسًا – مشغولة بهذه الأمور بينما لازالت تعاني من جذور في القلب لم تتعرف بها وتدينها.

فهل – عزيزي القارئ – لديك ما تكتمه وتبعده عن نور الكلمة، وسكين الإدانة؟ ابحث باجتهاد وعناية، ولا تدع الشيطان يخدعك. تعامل بأمانة وحزم مع نفسك في هذا الأمر، وتأكد بأن هناك مطلب مُلِّح لوجود قلب – بكليته – يشتاق أن يصعد على سُلَّم تقدُّم الحياة الروحية.